

باب الترتيب والتعلم

تقرير مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٢ الدراسية

(تمهيد) جاء في كتاب « أعمال مجلس ادارة الأزهر » مانصه : في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٣ صدرت الارادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الاسكندرية بالجامع الأزهر ومضمون الارادة « ان الجناب العالي وافق ارادته العلية أن تكون الاسكندرية ملحقة بالأزهر في التدريس والعلوم والامتحان وان مجلس ادارته يضع لها القوانين والنظامات ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الارادة ويحصر الاماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وان يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهورهم الاقدمين » ثم ذكر بعد هذا ان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية (يعني الاستاذ الامام رحمه الله) سافرا الى الاسكندرية للابتداء بتنفيذ هذا الامر الذي كان من رغائب الثاني وأرسيه - فرتبا درجات العلماء وأحصيا عددهم واختار الشيخ محمود باشا شيخا للعلماء الاسكندرية و بعد ان اعدا اشتغال مع مجلس ادارة الأزهر بوضع قانون لسيير التدريس والامتحان في الاسكندرية فوضع . ثم ان الشيخ محمود باشا أبي أن يكون شيخا للعلماء الاسكندرية تابعا للأزهر فوقف العمل وانفق أن جاء الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان في ذلك المهد الى مصر بالاجازة فأراده أحد أعضاء المجلس (يعني الاستاذ الامام) على أن يكون شيخا للعلماء الاسكندرية فصادف منه ارتياحا « فأشار عليه أن يعمل ليصل الى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ومهد لذلك باسترضاء الجهتين جهة السودان لتوافق على نقله وجهة مصر لترضى بتعيينه شيخا للعلماء الاسكندرية وكل سمي فيها بالنجاح فقرر مجلس الادارة في ١٦ ابريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب الى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالي بذلك فكان ما طلبه المجلس وصدر الأمر العالي بتعيينه شيخا للعلماء الاسكندرية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ ابريل ١٩٠٤ وانحل

ذلك المشكل العظيم» اه ما أردت نقله من كتاب أعمال الأزهر وأقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يتوسم في الشيخ محمد شاكر الهمة والنشاط في العمل ويعرف فيه حب النظام فلذلك اختاره قاضياً للسودان أولاً ثم شيخاً لعلماء الاسكندرية آخرأ وهو الذي أقنع الحكومة السودانية بأن ترضى بنقله وأقنع مجلس ادارة الأزهر بطلب تعيينه وتسهيل السبيل له وانظر ما جاء عن مبادي عمله في كتاب (أعمال مجلس الأزهر) قال موافقه

« قام شيخ علماء الاسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام لنا فيه من الفطنة وشدة الذكاء ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر وعضده مجلس الادارة الأزهرية وشيخ الأزهر أكبر التضيد وسهل له الطريق في استعمال فكرته ولم يقيد بنظام سوى نظام الأزهر نفسه ونسخ له صور القوانين والقرارات التي يجري عليها العمل المستمر وقرر له كل ما طلبه في سير الاعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه منهم فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفي تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد والمواظبة على إلقاء الدروس واستصدار أخيراً من مجلس الادارة قراراً بمحصر المساجد التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد» الخ

ثم ذكر أنه في آخر السنة الدراسية قدم تقريراً الى مشيخة الجامع الأزهر فصل فيه أعماله في تلك المدة وما يريد في السنة الجديدة. ونقول قدمت هذه السنة ووضع لها تقريراً رفعه «للاعتاب الخديوية» لالمشيخة الأزهر وهو موضوع ما نكتب هنا بهند هذا التمهيد فنبيدي رأينا في مسأله التي فيها مجال للرأي ثم في عبارته

﴿ مبحث التعليم الديني - رأيه ورأينا ﴾

في مقدمة التقرير كلام في فائدة عرض الأعمال على أصحاب الافكار والآراء قال بعده «وهذه خلاصة الاعمال في مشيخة العلماء بمدينة الاسكندرية وأن المشيخة ليسرها أن ترى ذلك اليوم الذي يتناول فيه كبار الكتاب أقلامهم لإفاضة البحث في ترقية التعليم الديني واعلاء شأن معاهد العلوم الدينية استنباضاً لهم وترغيباً في تربية الشبيبة المصرية من كل الطبقات التي تتكون منها الأمة تربية اسلامية مؤسسه على اتباع شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى العمل

بما جاء به من عند ربه بحيث تكون دعائم التعليم لسكل بناء المسلمين هي تلك الدعائم التي نبي عليها الاسلام وهي الاقرار بالله بالوحدانية ولحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام حتى لا يرى في الشيبة المصرية (وهي رجال الهند) من يجترى على ترك فريضة أوسنة أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قد يروا الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

﴿المنار﴾ قد أحسن الاستاذ في عرض تقريره على محك النقد بما كتبه في هذه المقدمة وبما كتب به الينا والى غيرنا من أصحاب الصحف . وانا نبدأ بابداء رأينا في هذه الجملة فنقول انه يعني بالشيبة — وهي مصدر — الثبان بل من دونهم من المميزين المرشحين وما ذكره بشأن تربيتهم تربية اسلامية غير كاف على ما في العبارة من الاطناب الذي أفضى الى التكرار ايضاحاً للواضح في قوله «على اتباع شريعة المصطفى (ص) وعلى العمل بما جاء به» وقوله بعد هذا «بحيث تكون دعائم التعليم» الخ لا يصلح تصويراً وبياناً للاتباع والعمل فان التعليم غير التربوية العملية ثم ان الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم من الإسلام ليس هو الاقرار بالله بالوحدانية الخ ما ذكره لأن كل مسلم يقر هذا الاقرار ويسهل عليه أن يتعلم كيفية اقامة الصلاة في مجلس واحد وكذلك أحكام الصوم ولا يجب على مسلم تعلم أحكام الزكاة والحج الا اذا كانا مفروضين عليه لغناه . ثم ان تعليم هذا الاقرار وهذه الاعمال لا يترتب عليه ما ذكره غاية له بقوله «حتى لا يرى في الشيبة المصرية من يجترى على ترك سنة أو فريضة» الخ فان الأستاذ الكاتب يعلم كما نعلم ان عدد المسلمين الذين تعلموا هذه الأمور وعملوا بها لا يتناولها الاحصاء ولا يكاد يوجد فيهم من لا يجترى ولا يصبر على ما ذكره .

ان الاحاديث التي اكتفت في اجراء أحكام الاسلام على المرء بالشهادتين والعمل بالاركان الاربعة الاخرى انما هي في شأن الكافرين الذين يدخلون في الاسلام فهذه هي الامور الظاهرة التي يعدون بها مسلمين وقد كان ممن قام بالاركان الخمسة في الظاهر المنافقون الذين نزل فيهم من الآيات ما نزل وقال فيهم النبي

صلى الله عليه وسلم ما قال، والابتدئون من جملة الأعراب الذين سلموا بظاهر الدين ولم يفهموا عقائده بالبرهان المفيد اليقين الا بعد حين وفيهم نزل (قالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وما يدخل الايمان في قلوبكم) الآية
الغاية التي ذكرها انما ترجى للكلمة من الذين تربوا على الاصول الثلاثة في حديث جبريل المنفق عليه من رواية عمر وأبي هريرة وهي الاسلام المفسر بالاركان الخمسة التي ذكرها صاحب التقرير وهي عبارة عن القسم العملي من عبادات الدين والايمان وهو عبارة عن القسم الاعتقادي منه والاحسان وهو الادب السكامل الذي هو أثر الاعتقاد الصحيح والعبادة القويمة والتهديب المعتدل . ونفي بتر بينهم على هذه الاصول الثلاثة تعويدهم العمل بالعمل من اول النشأة بحسن القدوة لا بمجرد الطلب باللسان وتلقيهم العلمي منها بالدلائل التي يخضع لها العقل ويطمئن بها القلب
وجملة القول ان عبارة التقرير في هذا المقام مضطربة وغير مينة لما يجب من الترية الاسلامية والتعليم الاسلامي ولا للضرورة منه وهو (١) العقائد الدينية على طريقه القرآن مع كشف الشبهات التي فشت في هذا العصر بين المسلمين من غير خلط بفلسفة اليونان وشبهات المبتدعة الذين اتعرضوا ودرست مذاهبهم . و (٢) الآداب الدينية مع بيان فوائدها للمتأدب بها في نفسه وفيمن يعيش معهم بحيث يقتنع بتعلمها أن فيها سعادة الدنيا قبل الآخرة ويتضح له ذلك بالتأدب بها فعلا . و (٣) الأحكام العملية مع بيان أسرارها وفوائدها في نفس العامل وفي صلته بالناس الذين يعيش معهم على ما بينا آنفاً . هذا ما يذكر في دعائم التعليم الديني بالاجمال ونحث الكتاب على الترعيب في إقامة هذه الدعائم بتعليمها لأولاد المسلمين وتنشئتهم على العمل بها في البيوت وفي المدارس حتى يصير العلم بها مؤيداً بالوجدان . واننا نعلم ان كاتب التقرير يقر هذا في نفسه وان لم تناوله عبارته وله أن يقول ان سيرته التي سيشرحها تتفق معه في الجملة وان كان اللاحق لا يدفع الايراد السابق . ونحن لا نرتاب في حسن قصده، وما قلناه بيان جاء في وقته ،

﴿ التعليم الاسلامي في الاغنياء والاعلياء ﴾

ثم قال الاستاذ صاحب التقرير بعد ما تقدم : « وما يجب أن يتنبه له عقلاء

الاسلام وعظاء الامة أن التعليم الديني قد كاد يكون منحصرًا في طبقات الفقراء، وبعض الطبقات الوسطى من الامة الإسلامية دون الطبقات العليا منها وذلك خطر غير قليل على الجامعة الإسلامية بمرور الدهور والاعوام اذا قدر أن ينتهي الأمر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولاها سواهم من الطبقات الاخرى وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية في أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم وبعبارة أصح تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية، والقوة المادية بعيدة عن المزايا الدينية، وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التخلي في التربية الدينية ما يصلح عبرة لكبرام القوم وخاصة المسلمين وعقلاء الامة

« فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا فلعلهم اذا فكروا فيه كثيرا يرجح عندهم ان يترى أبناءهم تربية دينية اسلامية محضة تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين حتى اذا تخرجوا على هذا المبدأ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة التي ترجى من أمثالهم مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران واذا شاء عظماء الامة أن يترى أبناءهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني ويحملون له المكانة العليا في أفئدة الناس أجمع وما ذلك على الله بعزيز نساءله الهداية والتوفيق لأقوم طريق » اهـ

(المنار) هذه ثمرة مقدمة التقرير وجملة ما يقال فيها أنها من الحواطر الحميدة التي تسنح للاذكياء وغرض الكاتب منها فيما يظهر دعوة أغنياء المسلمين في هذه البلاد الى نظم أولادهم في سلك طلبة العلم الديني في الاسكندرية والمنايا بالإسماعيل على هذا التعليم . وما من مسلم متفكر الا وهو يتمنى أن يقبل الاغنياء مع الفقراء على تلقي العلوم الدينية والتأديب بأدب الاسلام وانها لأمنية لا تنال بالتصبر عنها في تقرير ولا بالدعوة اليها والترغيب فيها بالكلام المبهم . بل بترقية المدارس الدينية ترقية تجذب النبي اليها باعتقاد أن فيها سعادته في الدنيا قبل الآخرة بجميعها بين علوها مع الاقتصاد في الوقت على ما سنينته بالايجاز الذي تقتضيه الحال لا يقدم الناس على شيء الا اذا علموا علم إذعان بأنه خير لهم وأكفل لمصالحهم

ودعوة الاغنياء الى التعليم الديني لم تكن على بيان يودع نفوسهم من العلم بذلك ما يحملهم على اجابة الدعوة فان عبارة التقرير لم تذكر من المرغبات في الدعوة الاتوقى الخطر على الجامعة الاسلامية الذي جعله مشروطاً بانحصار التعليم في غير الاغنياء وفرع من هذا الاصل انحصار الرياسة الدينية في غيرهم وجعل الوظائف الدينية تالية للرياسة في هذا ثم فسر ذلك بعبارة اصرح في مقصده وهي جعل الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية والهوة المالية بسيدة عن المزايا الدينية . فكان هذا التجرد هو الخطر فتقاؤه هو المرغوب الوحيد للاغنياء في اجابة الدعوة وهو يتوقف على الاقتناع بصحته وصحة كونه محل الخطر على الجامعة الاسلامية وصحة كون معاهد العلم الديني في الاسكندرية تجمع للمتعلمين بين القدرة على النهوض بالاعمال المالية مع الفضائل والمزايا الدينية ليجمعوا بين القوتين ويكون ذلك يمنع الخطر . على ان هذا كله غير واضح في كلامه ولنا ان نجعل كل كلمة من تلك الكلمات التي يفسر بعضها بعضاً في كلامه مرغياً مستقلاً ونوسع الدائرة بالاستنباط ثم نرى أيكفي ذلك لاجابة الدعوة يحسب الذين اعتادوا الارتياح الى امثال هذا الاقتراح في الجرائد ان من الجواذب اليه والمرغبات فيه ما ذكره الاستاذ من الخطر على الجامعة الاسلامية ، والترغيب في الرئاسة الدينية، والوظائف الدينية ، وتجريد المزايا الدينية من القوة المالية ، وكفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين ، لطلاب هذه التربية مع التعليم ؛ أين توجد التربية الاسلامية والتعليم الديني الجامعان لكلمة المسلمين الموثقان لروابطهم ؛ أين أولئك العلماء الذين أشار اليهم وما هي آثارهم في وقاية الامة من الخطر ، ماهي الرياسة الدينية التي لا ينالها الا من تعلم العلوم الدينية وتربى في حجرها ، ثم ماهي الوظائف الدينية التي يرفع الاغنياء ابصارهم اليها ، أليست هذه الكلمات من قبيل ما يطفو فوق أنهار الجرائد كل يوم كفقاقيع الماء ، ثم يتلاشي في الهواء ، بلى انها من هذا القبيل ولا تنس اننا حمدنا السانحة في نفسها وجزمنا بأن كل مسلم عاقل يتمناها ، وكيف السبيل الى نيل الاماني :

فيادارها بالخيف ان مزارها قرب ولكن دون ذلك أهوال

نيس في الاسلام رياسة دينية حقيقية كالرياسة في الاديان الاخر فان

كل مسلم مكلف فهم دينه من كتابه وسنة نبيه ان استطاع فان لم يستطع ذلك بنفسه استعان بأبي مسلم يرى انه يعرف حكم الله الذي يطلبه لا تنحصر افادة الدين في رؤساء معينين . وقد مضى الاصطلاح بأن يدعى سلطان المسلمين رئيساً دينياً وان قال الصحابة في أبي بكر عليه الرضوان: رضيه رسول الله صلى الله عليه ادِيننا— أي في امامة الصلاة— أفلا نرضاه لدنيانا: فجلوهادنيوية وهل يطمع غني أو فقير بهذه الرياسة الشرعية أو الدينية، مهما بلغ في التربية والعلوم الاسلامية؛ وأما الوظائف الدينية الحقيقية المحضنة كإمامة الصلاة والأذان فلا يرغب فيها الاغنياء بل لا يرضونها لأنفسهم على أنها لا تزال مبدولة للجاهلين . وهناك وظائف شرعية كالقضاء والافتاء وليست مما يرغب فيه الاغنياء هنالما هو معروف للكاتب والقارئين

لا خطر على الجامعة الاسلامية في انحصار الوظائف الدينية في أهل الفضائل والمرايا الدينية من الفقراء والأوساط ومن يتحلون بهذه الفضائل والمرايا لا يعجزهم أن يطلبوا الغنى فينالوه وأن يقنعوا الاغنياء ببذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الله لإقامة المصالح العامة . ثم إن تحلي الاغنياء بالفضائل والمرايا الدينية ليس مما يتوقف على هذا التعليم الذي يدعوهم اليه الاستاذ في تقريره . فجملة القول أن عبارة التقرير في هذه المسألة مبهمه مضطربة كعبارة التي قبلها

إذا قلنا ان المسلمين أو الجامعة الاسلامية على خطر فأنما نصيد قولاً تكرر منا في المنار كثيراً . ونصيده الآن لنقول ان التعليم الديني في مصر ليس له أثر ما في حفظ ما يسمونه الجامعة الاسلامية بل ربما كان له الاثر في اضعافها لأنه لا يدفع الشبهات الطارئة في هذا العصر على الدين ولا يبين انطباق أحكامه على مصالح البشر ومنافعهم الشخصية والاجتماعية ولا يخرج رجالاً يصلحون حجة على أهل التعليم الديني باستقامتهم وفضائلهم وقدرتهم على النهوض بالأعمال العظيمة عامة كانت أو خاصة حتى اذا أردنا أن نقول : ان أثر التعليم الديني في أهله هو أفضل من أثر التعليم الديني بأهله أو مساو له في شؤون الدنيا ويفضله في الآخرة قلنا ذلك بقوة تحترق الآذان ، ونصيب من النفوس مواقع الوجدان ، بل كثيراً ما يأتي هذا التعليم بضد ذلك حتى صارت جميع الطبقات التي يصفونها بالعلماء

تفكك بانتقاد أهله والخوض فيهم
 زار القاهرة في هذه الايام أستاذ من أساتذة المدارس الاسلامية في روسيا
 وكان جل هم البحث عن طرق التعليم الديني وغير الديني فساء ما رأى في
 الازهر من الفوضى وفساد طريقة التعليم وزرت معه بعض العظماء فكانوا اذا
 ذكر الازهر وأهله يقولون انه لاخير في هذا المكان يرجوه الاسلام وان أهله
 « كالخشب المسندة » وألقاب أشنع لأحب ذكرها . والتعليم في الاسكندرية
 قد أوشك يفضل التعليم في الازهر بالنظام والمراقبة والامتحان والمكافأة التي
 طالب المصلح بها أهل الازهر وحثمها عليهم بالقانون منذ عشرين أو أكثر
 فنهروا منها نفاراً وأصرّ كبراً وهم على رفضها اصراراً ، ووجدوا لهم من السياسة أنصاراً :
 انه ليسرنا أن ينفذ في الاسكندرية شيء من الاصلاح الصوري مع توجيه
 المهمة الى شيء من الاصلاح المعنوي . وأن يصدق ظن شيخنا الاستاذ الامام في
 الشيخ محمد شاكر ونراه موقفاً الى السداد في تنظيم معاهد العلم في تلك المدينة
 ولكننا نقول ان هذا كله لا يكفي في الاصلاح المطلوب الذي يرجي لوقاية الاسلام
 ولا مسلمي مصر من الخطر ولا لجذب أولاد الأغنياء الى هذا التعليم اذا اغنياء أحرص
 الناس على الزمن أن يضيع منه خمس عشرة سنة أو عشر سنين في معالجة كتب محدودة
 في الفنون العربية والفقهاء الذي صار أكثره غير معمول به والكلام الذي معظمه
 نظريات في مذاهب انقرضت وهم يرون أنه يقل في معالجي هذه الكتب من
 ينجح في فهمها وأن الذين يفهمونها قلما يوجد فيهم من يفيد الأمة فائدة لها شأن
 في ترقيتها أو الدفاع عن دينها وحقيقتها بل قلما يوجد فيهم من تصح عبارته العربية
 وكيف يفهم الدين من لا يتقن لغته اتقاناً

ان توحيد التعليم والتربية في الأمة باشتراك جميع الطبقات فيها مما يتوقف
 عليه تحقق وحدة الأمة وقوتها وهو أمر يتوقف على وجود زعماء من المسلمين
 يعرفون أسبابه فيأتونه من أبوابه وما أبوابه الا المدارس التي تجمع بين علوم
 الدين وعلوم الدنيا مع النظام الذي انتهى اليه رقي البشر الاجتماعي والصناعي .
 وأعني بعلوم الدين علوم القرآن والسنة وما فيها من الحكم والاسرار الموافقة

لرقي الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفادته سالف الامة منها في تفصيل ليس هذا
المقال بالذي يتسع له فأكتفي بهذه الكلمة كما أكتفي من بيان فوائد النظام بأن
مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لا ينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل في
الازهر لتلك الكتب التي لا غناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية
فيكتفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقتهم في التعليم خمس سنين
إذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسناتها يكون تمهيداً لما يريد
المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وإن الشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو
أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالأذكياء العارفين
بنظام التعليم كريدني الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم
بمساعده في تقريره الاخير. وما وضع للازهر انما كان موقفاً روعياً فيه ضعف
الاستعداد. وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعهد به القوم الى نظام
أكمل منه تزداد به العلوم ويكمل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الايام جميعها.
وسنين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم

بَابُ الْخَبَرِ الْأَكْبَرِ

مسألة مكدونية

﴿أورباوتركيا - أو الدين والسياسة﴾

اشدد ضغط دول أوربا على دولتنا في هذه الايام يعرضن عليها أن يكون
لهن مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما طلبن بالتهديد
والوعيد. وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجل ادارة تلك البلاد - وهي سياج
عاصمة الدولة - أوربية محضة. وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من
نحو ثلاث سنين لا نخشى الامن روسيا لأنها كانت تستعد للحرب فاذا هي تستعد
لجايان التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء مشورا

(وهو - الخار)